الإبداعيّة

نشأة المذهب الإبداعيّ وأبرز أعلامِه:

الرّومانسيّة، أو الرومانتيَّة، نسبة إلى كلمةِ رُمان التي كانتْ تعني في العصر الوسيط حكاية المغامرات شعراً ونثراً. وتشير إلى المشاهد الرّيفيّة بما فيها من الرّوعة والوحشة.

ثمّ أُطلقَ هذا المصطلح على مذهب أدبي بعينه ذي خصائصَ في أعقاب الثّورة الفرنسيّة ردّاً على إغراق الاتّباعيّين في إعادة الاتّصال بالمنابع الثّقافيّة القديمة.

الرّومانسيّة وتُعرف أيضاً باسم الرومانتيكيّة أو الإبداعيّة، حركة فنيّة أدبيّة وفكريّة نشأتْ في فرنسا أواخر القرن الثّامنَ عشرَ، وسرعانَ ما راجت في أنحاء أوربا.

وهي تعنى بالنّفس البشرّية والعواطف الحساسة والأخيلة، ولا تخضع لقيود العقل ولا تتحكم بها الكلاسيكيّة المفرطة، ومن أبرز شعرائها(لامرتين)

الإبداعيّة العربيّة:

في أواخر العقد الأوّل من القرن العشرين، وُجِدَ بعض الشّعراء الذين ثقفوا اللغة الإنكليزيّة، وتعمقوا في دراستِها، واطّلعوا على الآداب الغربيّة عامة، فأخذوا يثورون على الشّعر العربي القديم، وعلى التّقيد بصورِهِ ومعانيه، وأوزانهِ وطرائق تعبيره من جهة، كما أخذوا يثورون على اتّجاهِ الشّعراء نحو الوطن والمجتمع والحياة العامة، لا نحو النّفس الإنسانيّة وما يختلجُ فيها من خيرٍ وشرٍّ، ولا نحو الكون وما فيه من حقائق وأسرار.

وقد وجدت الإبداعيّة طريقها مفتوحاً إلى قلوب الأدباء العرب؛ لأنّها لبّت طموحَهم في البحثِ عن شخصيَّة مستقلَّةٍ، ونزوعهم إلى الحريّة والخلاص بشكلٍ فرديٍّ، والهروب من الواقع والتّمرد عليه، ولأنّ الظروف السّياسيّة وخضوع البلاد للسّيطرة الاستعماريّة خلفتْ واقعاً جديداً رافقه شعورٌ بالكآبةِ والخيبةِ، فجاء ظهور المذهب الإبداعي في شعرنا الحديث استجابةً طبيعيّةً لذلك التّطور.

وقد بدأت حركاتُ الشّعرِ التّجديديّة والدعوة إليها بشكل نقديٍّ عنيفٍ حيناً (مدرسة الدّيوان: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني)، وبشكل هادئ رزين حيناً آخر (جمعية أبولو والعصبة الأندلسيّة).

ومن أبرز المدارس التي ظهرت:

1- مدرسة الديوان:

التقى عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، على ضرورة تطوير الشّعر العربيّ، واتّفق الأوّل والثّاني منهم على تحطيم أصنام الأدب - حسب وصفهم –

2- الرّابطة القلميّة:

في الوقت الذي كان فيه العقاد وزميلاه في مصر يدعون للتجديد، كان في المهجر الشّماليّ (الولايات المتّحدة الأمريكيّة) زمرةٌ من الأدباء السوريين واللبنانيين المهاجرين يحاولون المحاولةَ نفسَها، ويدعون إلى تخليص الأدب ممّا ران عليه من تقاليد، وبث روح جديدة فيه، وكان من بينهم ميخائيل نعيمة صاحب كتاب الغربال، وجبران خليل جبران، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي.

3- جمعية أبولو:

كلما مضينا قدماً في العصر الحديث، ازداد اتّصالنا في الغرب، وكان الشّاعر المصريّ أحمد زكي أبو شادي نموذجاً على هذا.

وحدّد أبو شادي الأهداف من تأسيس هذه **الجمعية** فيما يلي:

- السّمو بالشعر العربيّ وتوجيه جهود الشّعراء توجيهاً شريفاً.
- مناصرة النّهضات الفنيّة في عالم الشّعر.
- ترقية مستوى الشّعراء أدبياً واجتماعيّاً وماديّاً، والدّفاع عن كرامتهم.

ومن أبرز شعراء أبولو(إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه)

خصائص الإبداعيّة :

1- الذّاتيّة:

فقد ظهرت ذات الشّاعر بشكلٍ واضحٍ، فأصبحت المواضيع تمجد الكاتب الشّاعر ليظهر حزنه في شعره، وتمردّه على واقعه، كما قال أبو القاسم الشّابيّ متحدياً أعداءه:

سأعيشُ رغمَ الدّاءِ والأعداءِ كالنّسرِ فوقَ القمةِ الشّمّاءِ

أرنو إلى الشّمسِ المُضيئةِ هازئاً بالسحبِ والأمطارِ والأنواءِ

النّورُ في قلبي وبينَ جوانحي فعلامَ أخشى السّيرَ في الظّلماءِ

2- التّركيز على موضوعات يثيرها التّشاؤم والكآبة:

فقد وجد الإبداعيون أنّ الألم مصدر الإبداع، وأخذوا يبحثون عن ذاتهم في هذا العالم الكبير المليء بالأسرار، وكانت المعاناة، وتمجيد الألم أساس كثيرٍ من أشعارهم، فنجد وصف مشاهد الغروب والبحر والخريف وغيرها، كما قال أحمد زكي أبو شادي مُتحدِّثاً إلى البحر:

تَدَفَّقْ أيُّها الموجُ الطـــروبُ فلي قلبٌ علـــى ألمي يذوبُ
يذوبُ مِن الأسى الدَّفَّاقِ حتّى كأنَّ أساهُ ما شكتِ القلوبُ
أعني من خريرِكَ فهوَ طبٌّ إذا ما خابَ في الناسِ الطبيبُ
تحجَّر كلُّ مَن أرجو رِضاهُ فأينَ للوعتي أينَ الحبيـــبُ
تدفق أيُّها الموجُ المُغنِّي فلي من روحِكَ الغالي نصيبُ
أعيشُ في بيئة كالصَّخر موتاً وكم في الصَّخرِ تحنانٌ عجيبُ
أنستُ إلى الجمادِ ففيه عطفٌ ومزّقني المُصاحبُ والقريبُ

3- استخدام اللغة المأنوسة المشحونة بعواطفَ إنسانيّةٍ حارة:

ابتعد الإبداعيون عن اللغة الفخمة والألفاظ الصّعبة واقتربوا من الألفاظ السهلة ورأوا في ذلك تعبيراً عن عواطفهم ومعاناتهم وحاولوا أن يجددوا شباب اللغة العربية ويُبسطوها ويحرروها من القيود والجمود، كما نجد في قول إيليا أبو ماضي:

يا لهفةَ النّفسِ على غابةٍ كنتُ وهنداً نلتقي فيها
أنا كما شاء الهوى والصِّبا وهيَ كما شاءتْ أمانيها
نُباغتُ الأزهارَ عندَ الضُّحى مُتكئاتٍ في نواحيها

4- الجنوح إلى الخيال:

آثر الإبداعيون الابتعاد عن التشابيه الماديّة الحسيّة، فقد كانوا يحلقون في أجواء المستقبل وما وراء الواقع، ويتجهون نحو أعماق النفس لإبداع الصور المبتكرة وشحنها بعواطف إنسانية حارة.

لاحظ الفرق بين غزل أحمد شوقي والشّابي الذي حلّق في الخيال وأعماق النّفس البشرية، وجعل من هذه المحبوبة أسطورةً، يقول شوقي:

ولقد مررتُ على الرّياضِ بربوةٍ غنّاءَ كنتُ حيالَها ألقاكِ
ضحكتْ إليَّ وجوهُها وعُيُونُها ووجدتُ في أنفاسِها رَيّاكِ
وتعطلتْ لغةُ الكلامِ وخاطبَتْ عينيَّ في لغة الهوى عَيناكِ

أما الشّابيّ فيقول:

عذبةٌ أنتِ كالطّفولةِ كالأحْـ لامِ كاللَّحنِ كالصَّباحِ الجديدِ
كالسَّماء الضَّحُوكِ كاللَّيلَةِ القمراءِ كالوردِ كابتسامِ الوليدِ
يا لها مِنْ وَداعةٍ وجمالٍ وشَبابٍ مُنعَّمٍ أُمْلُودِ
يا لها من طهارةٍ تبعثُ التَّقديْـ سَ في مهجَةِ الشَّقيِّ العنيدِ
يا لها رقَّةً تَكادُ يَرفُّ الوَرْ.. دُ منها في الصَّخْرَةِ الجُلْمودِ
أَيُّ شيءٍ تُراكِ هلْ أَنْتِ فينيسُ تَهادتْ بَيْنَ الوَرَى مِنْ جديدِ
لتُعيدَ الشَّبابَ والفرحَ المعسـ ـولَ للعالمِ التَّعيسِ العميدِ
أَم ملاكُ الفردوس جاءَ إلى الأَر ضِ ليُحيي روحَ السَّلامِ العهيدِ
أَنتِ مَا أَنتِ أَنْتِ رسمٌ جميلٌ عبقريٌّ من فنِّ هذا الوُجُودِ
فيكِ مَا فيهِ من غموضٍ وعُمْقٍ وجَمَالٍ مقَدَّسٍ مَعبُودِ

5- تمجيد الطّبيعة، واللجوء إليها:

هرب الإبداعيون من العالم الماديّ والمدنيّة المعاصرة إلى عالمٍ من الخيال رسموه في الطبيعة التي وجدوا فيها الملجأ الآمن من هذه السّموم، هناكَ تسمو الرّوح وترتقي، في الطبيعة توجد الفطرة الإنسانيّة والنّقاء والصّفاء، كقول جبران خليل جبران في قصيدته المشهورة الغاب:

ليس في الغاباتِ حزنٌ لا ولا فيها الهمومْ
فإذا هبّ نسيمٌ لم تجىءْ معه السمومْ

هل تخذتَ الغاب مثلي منزلاً دون القصورْ
فتتبعتَ السواقي وتسلقتَ الصخورْ
هل تحممتَ بعطرٍ وتنشفْتَ بنورْ
وشربت الفجر خمراً في كؤُوسٍ مِن أثير
هل جلسْتَ العصرَ مثلي بينَ جَفْناتِ العنبْ
والعناقيدُ تدلتْ كثرياتِ الذَّهبْ

وخلاصةُ القولِ: جاء المذهب الإبداعيّ في شعرنا العربيّ استجابةً طبيعيّةً لرغبة التجديد والتّغيير، لا مجرد تقليد للإبداعيين الغربيين، لكن الإغراق في الذاتية والجنوح للخيال الشديد كان له دور كبير في التمهيد للمذهب الذي يليه وهو الواقعية.